العرب في الساحل الشرقي للخليج العربي ودورهم حتى القرن الرابع الهجري

الاستاذ الدكتور عبد الرحمن عبد الكريم العاني
مستشار وزارة التعليـــم العالي والبحث العلمي

يعود استقرار العرب في الساحل الشرقي للخليج العربي الى فـــترة قديمـــة ترجع الى عصور قبل الاسلام ، ثم توالت الهجرات بعد الاسلام . وقد أصبح العرب سادة الخليج العربي برا وبحرا وظل الخليج العربي خلال العصور الاسلامية بحيرة عربيـــة ، ليتمتع فيها العرب المسلمون بدور الريادة والقيادة والنفوذ السياسي والتجاري على الـــبر والبحر وعلى كافة السواحل المحيطة بمياهه .

وفي هذا الصدد يذكر الرحالة كارستن بسنور الذي جاب الجزيرة العربية عام ١٧٦٢ م (١١٧٦ هـــ) وخرج على العالم عام ١٧٧٢ م (١١٨٦ هـــ) بمؤلف ضخـم (رحلات في الجزيرة العربية وبلدان اخرى في الشرق) ويذكر العرب القـــاطنين فـــي الساحل الشرقي من الخليج العربي فيقول : " ان هذه القبائل استقرت على الخليج العربـــي قبل فتوحات الخلفاء ، وقد حافظت دوما على استقلالها . ومـــن المضحـــك ان يصـــور جغرافيونا جزءا من بلاد العرب كانه خاضع ليحكم ملوك الفرس فـــي حيـــن ان هـــؤلاء الملوك لم يتمكنوا قط ان يكونوا اسياد ساحل البحر لكنهم تحملوا صابرين ان بعض هـــذا الساحل ملكا للعرب " [١] . كما يقول أيضا : " لقد أخطا جغرافيونا على ما أعتقـــد حيـــن صوروا لنا جزءا من الجزيرة العربية خاضعا لحكم الفرس ، لأن العـــرب هـــم الذيـــن يمتلكون خلافا لذلك جميع السواحل وانه يستحيل تحديد الوقت الذي انشـــا فيـــه العـــرب موطنهم على الساحل ، وقد جاء في السير القديمة انهم انشاوها في عصور سلفت ... في عهد أول ملوك الفرس " [٢] في القرن السادس قبل الميلاد تقريبا .

وقد أكد السير برسي سايكس احد المهتمين بالتاريخ الايراني عجز الايرانيين في البحر وعدم معرفتهم بالملاحة فقال : " ليس هناك شيء يوضح لنا تأثير العوامل الطبيعية على ميول الناس وسلوكهم أحسن من النفور والكره اللذين يظهرهما الايرانيون دائما للبحر الذي تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة [٣] .

يضاف الى ذلك فقد أكد ارنولد ويلسن على تلك الحقائق فذكر ان السيطرة الفعلية للحكومة الفارسية لم تكن موجودة على السواحل الشرقية ، بل كان النفوذ للعرب منذ عهد سابور الثاني في القرن الرابع للميلاد ، واستمر كذلك بعد قيام الدولة الاسلامية وحتى فترة متقدمة من الوقت الحاضر [٤] .

ويؤكد قدري قلعجي جميع تلك الحقائق فيقول : " ان ظلوا حكام الساحل الشرقي من منطقة الخليج العربي الى أيام قريبة جدا وما زالوا حتى الآن يؤلفونه في تلك المنطقة أغلبية السكان " [٥] . ان هذه الشواهد المتأخرة هي انعكاس لحالة الساحل الشرقي للخليج العربي منذ أزمنة قديمة ، حيث هاجرت اليه واستوطنته قبائل عربية عديدة ، واستمر اتصالها برا وبحرا بالقبائل العربية الاخرى في السواحل الشمالية والغربية للخليج العربي ، وقد نزحت هذه القبائل قبل الاسلام وبعده .

ويرجع الأصمعي انتقال الأزد الى الساحل الشرقي الى زمن الهجرة اليمانية على أثر خراب سد مأرب في حوالي منتصف القرن السادس للميلاد " [٦] . ويذكر الطبري انه في القرن الرابع الميلادي قام عدد من القبائل العربية من عرب البحرين وبلاد عبد القيس وكاظمة وهجر بالهجرة الى الساحل الشرقي [٧] .

يتبين مما مرَّ ان العرب اعتادوا العبور من الساحل الغربي للخليج العربي الى الساحل الشرقي ومنذ فترة طويلة قبل الاسلام ، كما ان تلك النصوص تؤكد الوجود العربي في الساحل الشرقي منذ تلك الفترة .

وقد اعتمد الفرس الساسانيون اثناء احتلالهم العراق للخليج العربي سياسة تهجير القبائل العربية بالقوة من البحرين وعمان الى فارس ، وذلك للحد من نشاطهم المعادي للساسانيين ، فقد هاجم سابور الثاني السواحل الغربية للخليج العربي وانه (أسكن من

كان من بني بكر بن وائل كرمان . . ومن كان منهم من بني حنظلة بالرميلة . . وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوج) [٨] .

وبالرغم من ان هدف سابور من نقل العرب الى فارس وإسكانهم في تلك المناطق هو إضعاف نشاط القبائل العربية المعادي للساسانيين ، فان وجودهم في تلك المناطق شكل منطلقا وأساسا لهجرات عرقية أُخرى الى فارس وكرمان ومكران ، حيث ان أولئك العرب كانوا يتعاطفون مع المهاجرين الجدد من العرب ويتعاونون معهم .

وتتميز الهجرة العربية الى الساحل الشرقي من الخليج العربي بانها شعبية وسلمية ومستمرة ، فردية وجماعية ، والمعروف ان لعمان علاقة وثيقة بالساحل الشرقي للخليج العربي ، وذلك ان العديد من القبائل العربية المهاجرة الى الساحل الشرقي جاءت من عمان في مراحل تاريخية متعاقبة .

الهجرات العربية الى الساحل الشرقي :

ومن أبرز الهجرات العربية الى الساحل الشرقي للخليج العربي هجرة آل عمارة من الأزد ، وهم أولاد الجلندي الذين وصفهم الاصطخري بانهم (أقدم من ملوك الاسلام بفارس وأمنعهم جنبا) [٩] . وذكر أيضا من العرب الذين توطنوا في تلك البقاع آل عمارة ويعرفون باولاد الجلندي لهم مملكة عريضة وضياع كثيرة وقلاع على سيف البحر . . ويزعمون ان مكهم هناك قبل موسى ، وان الذي قال الله (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) [١٠] هو الجلندي وهم قوم من أزد اليمن ، ولهم الى يومنا هذا منعة وعدة وباس وعدد ، لايستطيع السلطان ان يغيرهم ، واليهم ارصاد البحر وعشور السفن [١١] . كما ذكر الاصطخري من مناطق سكناهم سيف عمارة الذي يعرف بالجلندي [١٢] .

يتضح مما مرَّ ان آل عمارة من اولاد الجلندي قد استوطنوا مساحة واسعة من الساحل الشرقي للخليج العربي قبل الاسم وان لهم مركزا قويا استمر منذ ذلك الزمن المتقدم حتى القرن الرابع الهجري ، وانهم قد تمتعوا بسلطان سياسي كبير ، وكانوا يفرضون الضرائب على السفن التجارية ومقدارها العشر .

ولآل عمارة حصن على الخليج العربي يدعى (حصن ابن عمارة) وقد وصفه الاصطخري بانه حصن منيع ، ولايوجد في المنطقة حصن امنع منه ، ويمتد هذا

الحصن على ساحل الخليج الى هرمز [١٣] . وقد أشار القلقشندي الى ان هذا الحصن كان خرابا في زمنه [١٤] . ومن قلاعهم المشهورة قلعة الديكدان ، وتسمى ايضا قلعة ابن عمارة ، وقد وصفها الاصطخري بانها قلعة منيعة وانه (لا يقدر احد ان يرتقي اليها بنفسه الا ان يرقى به في شيء من البحر ، وهي مرصدة لآل عمارة في البحر يعشرون منها المراكب) [١٥] ، كما وصفها ياقوت بانها (قلعة عظيمة على سيف البحر قريبة من جزيرة هرمز) [١٦] .

ومن قلاعهم أيضا هرو التي وصفها ياقوت بانها قلعة ضعيفة على ساحل الخليج العربي المقابل لجزيرة كيش ، وقد راها وكانت قد خربت [١٧] ويضيف قائلا : (الا أني وجدت ابراهيم بن هلال الصابي قد عظم امرها وفخم حالها وزعم انها لم تفتح عنوة قط ، وان اهلها اختاروا الاسلام رغبة لا رهبة ، وان اصحابها قوم من العرب يقال لهم بنو عمارة يتوارثونها ، ولهم نسب يسوقونه الى الجلندي بن كركز الى ان انتهى ملكها الى رجل يقال ابو المطلب رضوان بن جعفر ، وان عضد الدولة ارسل اليها علي بن الحسين السيفي ففتحها) [١٨] .

وقد أشار الشاعر الى سلطان آل الجلندي في هذه القلعة فقال [١٩] :

ان خير الملوك ال الجلندي عشيرا ومحتدا وجدودا
ملكوا البحر بعد ما ملكوا البر وسادوا الملوك ليلا وجودا
تلك ابنائهم تخر لهم الفرس الى اليوم في النهر وسجودا

ان القلاع والحصون البحرية الانفة الذكر والتي تقع ضمن منطقة استقرار آل عمارة من اولاد الجلندي هي قواعد لحماية الخليج العربي وتامين الملاحة فيه ، ولا بد ان تكون لهم قلاع وتحصينات في البر في الدفاع البري بالرغم من ان المصادر لا تشير اليها . ان قيام الجلندي بجباية الضرائب من السفن يدل على انهم كانوا يتصرفون بحرية واسعة ، وانهم امتلكوا قوة عسكرية كبيرة جعلتهم يهيمنون على تلك المناطق .

واضافة الى ذلك فانهم كانوا يفرضون الضرائب على التجارة البرية ايضا ، حيث يذكر الاصمعي ان (الجلندي . . . الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا من بني نصير

من اولاد الازد ، والى اليوم ذلك الملك ثابت في ال الجلندي ، يجيء اليهم في دار ملكهم ما كان يجيء الى آل الجلندي من البر والبحر) [٢٠] .

ومن آل الجلندي آل الصفار ، ومنازلهم على ساحل الخليج العربي في منطقة تعرف بسيف آل صفار [٢١] .

وممن انتقل الى الساحل الشرقي من الأزد آل الصفاق بن حجر بن بجر بن عمرو بن بكر بن انمار بن قيس بن وقدان من بني مالك منمنهم ، وقد ذكر ابن دريد ان لهم عددا ورياسة وشرفا [٢٢] ، وقد استقروا في منطقة الساحل الشرقي سميت بسيفال الصفاق [٢٣] ، وقد وصفه الادريسي بانه انف قائم في البحر [٢٤] . كما نتقل بنو سليمة بن مالك من الأزد الى الساحل الشرقي منذ فترة طويلة قبل الاسلام ، وقد استقروا هناك في جبال القفص المشرفة على الخليج العربي ، حيث يروى ان سليمة قتل اباه مالكا فهرب بولده واهله خوفا من اخوته من عمان الى الساحل الشرقي من الخليج العربي واستقر في تلك الجبال [٢٥] . وقد تمكّن سليمة بن مالك من تأسيس امارة عربية في تلك الأصقاع معتمدا على العرب هناك ، وقد تامر العجم على حكم سليمة بن مالك وتمردوا عليه في الأطراف فاستعان بأخيه هناة بن مالك فامده بثلاثة آلاف من فرسان الأزد وشجعانهم نقلوا بالمراكب ، فقوى مركزه وقضى على المتمردين ، وقد استمر في الحكم الى ان توفى ، ثم حدث بعد وفاته خلاف بين اولاده العشرة ، فاستفاد العجم من ذلك واستطاعوا من اسقاط ملكهم [٢٦] ، غير ان سقوط امارة بني سليمة بن مالك بن فهم لم ينه وجود تلك القبيلة في تلك المنطقة ، كما انه لم يقلل من مكانتها ، فقد ظلوا هناك يتمتعون بمركز قوي [٢٧] .

ان اختيار سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي والأزد هرموز يعود الى ان هرموز قريبة من عمان ، ثم ان استقرار سليمان والازد فيها قد حقق السيادة العربية على هذه الضايق المهمة . وقال السالمي (فخاف أهل حي ، وما حولها من الباطنة فخرجوا باموالهم وذراريهم وعيالتهم) . وقال السالمي (وخرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي بولده وحرمه ومن خف معه من قومه فركبوا البحر في بعض السفن حتى قدموا الى هرموز فتحصن بها وأقام هناك الى ان اتخذ بها دارا ومالا ...) .

وكان اضطراب أحوال عمان الداخلية من أسباب هجرة الأزد الى الساحل الشرقي ففي عام ٢٨٠ هجرية توجه محمد بن ثور عامل الخليفة العباسي المعتضد على البحرين مع جيش كبير لفتح عمان فكان سببا في نزوح بعض الازد الى الساحل الشرقي ، فخرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي من بني مالك من منهم ومن تبعه الى هرموز [٢٨] ، وقال السالمي (وخرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي بولده وحرمه ومن خف معه من قومه فركبوا البحر في بعض السفن حتى قدموا الى هرموز فتحصن بها وأقام هناك الى ان اتخذ بها دارا او مالا وذلك حين بلغه مما وقع بعمان من حيذ ابن بور ، واقام بهرموز واتخذها وطنا الى ان مات ، ثم ابنه المهدي بن سليمان وكان أميرا عليها الى ان مات فبقية ولده بها وبعضهم انتقل الى عمان) [٢٩] .

ان اختيار سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي والازد الى هرموز يعود الى ان هرموز قريبة من عمان ، ثم ان استقرار سليمان والازد فيها قد حقق السيادة العربية على هذه المضايق المهمة .

كما انتقل الى الساحل الشرقي جماعة من بني سامة بن لؤي من قريش ، ويرجح انهم عبروا من عمان منذ الازمنة السابقة ، ومنهم ال ابي زهير وينسب اليهم سيف بني زهير [٣٠] ، وقد وصفهم الاصطخري بانهم (ملوك ذلك السيف ولهم منعة وعدد) [٣١] مما يدل على نفوذهم الواسع في تلك المنطقة ، ومنهم جعفر بن ابيي زهير الذي قال فيه الرشيد حين وفد عليه (لولا طرشه لاستوزرته) [٣٢] ، وهذا يؤكد ان العلاقة بينهم وبين الرشيد كانت جيدة . كما انتقل الى الساحل الشرقي من الخليج العربي جماعة من عبد القيس ، فقد ذكر البلاذري ان عثمان بن ابي العاص الثقفي عامل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين وعمان قطع البحر سنة ١٩ هجرية فنزل توج في الساحل الشرقي ففتحها وبنى بها المساجد وجعلها دارا للمسلمين واسكنها عبد القيس وغيرهم [٣٣] .

ومن العرب الذين انتقلوا الى تلك الاصقاع عن طريق البحرين آل حنظلة من تميم ، فقد ذكر الاصطخري من العرب الذين توطنوا (آل حنظلة بن تميم من ولد عروة بن ادية الذين عبروا من البحرين . . . في أيام بني امية بعد قتل عروة بن ادية فسكنوا

اصطخر ونواحيها وملكوا الأموال الكثيرة والقرى النفيسة ، وكان منهم عروة بن عينية ، وبلغ من يساره انه ابتاع بألف ألف درهم مصاحف فرقها في مدن الاسلام وكان مبلغ خراج هذا البيت في ضياعهم نحو عشرة آلاف درهم) [٣٤] .

خلاصة البحث :

ان هذا البحث يكشف عن أصالة العرب وكثرتهم في الساحل الشرقي من الخليج العربي ، وان الغالبية العظمى لهؤلاء العرب انما انتقلوا من عمان والبحرين قبل وبعد حركة التحرير العربية ، كما انه يقدم معلومات مهمة عن الجذور التاريخية للعدد الكبير من العرب الذين ما زالوا يقطنون تلك المناطق محتفظين بلغتهم ونظم بل وباسماء قبائلهم .

وأخيرا فان تلك الوثائق التاريخية توفر الكثير من الادلة القاطعة التي تؤكد ان الخليج هو حقا خليجا عربيا بكثرة من استوطن جانبيه من العرب وهيمنتهم الكامنة عليه منذ أقدم العصور .

الهوامش :

(١) قدري قلعجي / الخليج العربي / ١١.

(٢) ن. م. / ١٢

(٣) عبد الامير امين / القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر / ١٩.

(٤) ارنولد ويلسون / الخليج العربي /٨٢-٨٤ .

(٥) قدري قلعجي / الخليج العربي / ٢٣ .

(٦) الاصمعي / تاريخ العرب قبل الاسلام / ٨٨ .

(٧) الطبري / تاريخ الرسل والملوك /١ ت٢ /٨٣٦-٨٣٧ ، انظر ابن قتيبة/ المعارف /٦٥٦-٦٥٧ ، المسعودي / مروج الذهب /٢ /٢٥٤-٢٥٦ ، ابن الاثير / الكامل / ٢ /٣٩٢ .

(٨) الطبري /١ ت٢ / ٨٣٧-٨٤٥ ، انظر ابن الاثير / الكامل / ٢ / ٣٩٣ .

(٩) الاصطخري /مسالك الممالك / ١٤١ والجليندي هو الجليندي بن المستكبر ابن مسعود بن الجزار بن عبد العزى بن معولة بن شمس من أزد عمان .

(١٠) القران الكريم / سورة الكهف / الآية ٧٩ .

(١١)الاصطخري /مسالك الممالك / ١٤٠-١٤١ ، انظر الاصمعي / تاريخ العرب قبل الاسلام / ٦٧-٦٨ ، مروج الذهب / ١ / ١١٠ ، ياقوت الحموي / معجم البلدان / ٢ / ٧١١ ، القزويني / اثار البلاد وأخبار العباد / ١٣٥ .

(١٢)مسالك الممالك / ١٠٥-١٠٦ .

(١٣) مسالك الممالك / ٣٤-٣٥ ، انظر الاقاليم /١٨ ، ابن حوقل / صورة الارض / ٤٩ ، المقدسي / احسن التقاسيم / ٤٤٧-٤٤٨ ، القلقشندي / صبح الاعشى /٣ / ٢٤٢ .

(١٤) صبح الاعشى /٣ / ٢٤٢ .

(١٥) مسالك الممالك / ١١٦-١١٧ ، انظر الاقاليم / ٦٠ ، صورة الارض / ٢٤١ ، معجم البلدان /١ / ٧١١ ، ٣ / ٨٣٧ .

(١٦) معجم البلدان / ٢ / ٧١١ .

(١٧) ن . م . / ٤ /٩٧٤ .

(١٨) ن . م .

(١٩) تاريخ العرب قبل الاسلام / ٦٨ .

(٢٠)ن . م .

(٢١) مسالك الممالك / ١٤١ ، معجم البلدان / ٣ / ٣١٧ ، وقد جاء في لسان العوب / ٩ / ١٦٧ ان السيف هو ساحل البحر والجمع هو اسياف . . وفي حديث جابر : فاتينا سيف البحر اي ساحله .

(٢٢) ابن دريد / الاشتقاق / ٤٨٤ .

(٢٣) الهمداني / مختصركتاب البلدان / ١١ .

(٢٤) الادريسي / جزيرة العرب من نزهة المشتاق / ٤٨ .

(٢٥)معجم البلدان / ٤ /١٤٧-١٤٨ ، انظر سرحان بن سعد الازوكي / تاريخ عمان المقتبس من كشف القمة / ٢٩ - ٣٠ ، السالمي / تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان / ١ / ٣٢ - ٣٣ ، ناجي عساف / عمان تاريخ يتكلم / ٩٧ .

(٢٦) سرحان بن سعيد الازوكي / تاريخ عمان / ٣٢ .

(٢٧) ن . م . / ٣٢ ، انظر تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان / ١ /٣٧ .

(٢٨) سرحان بن سعيد الازوكي /٥٦ ، انظر تحفة الاعيان / ١ /٢٥٩ .

(٢٩) تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان / ١ / ٢٥٩ .

(٣٠) معجم البلدان / ٣ /٢١٧ .

(٣١) مسالك الممالك / ١٤١ .

(٣٢) ن . م .

(٣٣) البلاذري / فتوح البلدان / ٣٨٦ .

(٣٤) مسالك الممالك / ١٤١ .